مع الحبيب ﷺ

دروس وعبر من غزوة أحد (1 ـ 2)

ذكر العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العبـاد» جملة من الفوائد المستفادة من غزوة احد، نقتبس منها ما يلي:

● ان حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدالوا مرة، ويدال عليهم اخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فانهم لوا انتصروا دائما، دخل معهـم المؤمنون وغيرهم، ولم يميز الصادق من غيره، ولو انتصـر عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله ان جمع لهم بين الامرين، ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به، ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة.

● تعريف المؤمنين سوء عاقبة المعصية، الفشل، والتنازع، وأن الذي اصابهم انما هو شؤم ذلك، كما قال تعالـى: (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسـونهم باذنه حتى اذا فشـلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) «آل عمـران 152»، فلمـا ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسـول ﷺ وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك اشد حذرا ويقظة، وتحرزا من اسباب الخذلان.

● ان مـا حصل يـوم احد من علامات الرسـل، كما قال هرقل لابي سفيان: هل قاتلتموه؟، قال: نعم، قال: كيـف الحرب بينكم وبينه؟، قال: سجال، يدال علينا المرة، وندال عليه الاخرى، قال: كذلك الرسـل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة.

● ومنها ان يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فان المسلمين لما اظهرهم الله على اعدائهم يوم بدر، وطار لهـم الصيت، دخل معهم في الاسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا، فاقتضت حكمة الله عز وجل ان سـبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأخرج المنافقون رؤوسـهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخباتهم وعاد تلويحهـم تصريحا، وانقسـم الناس الى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقساما ظاهرا، وعرف المؤمنون ان لهم عدوا في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم، قال الله تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيـب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) «آل عمران 179»، أي ما كان الله ليذركم على ما انتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز اهل الايمان من اهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم احد، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الـذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء، فانهم متميزون في غيبه وعلمه، وهو سبحانه يريد ان يميزهم تمييزا مشهودا، فيقع معلومة الذي هو غيب شهادة، وقولـه: (ولكن الله يجتبي من رسله ما يشاء) استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسـل، فانه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) «الجن 27»، فحظكم انتم وسعادتكم في الايمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فان آمنتم به وأيقنتم، فلكم اعظم الاجر والكرامة.

● اسـتخراج عبودية اوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر اعدائهم بهم، فاذا ثبتوا علـى الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

● انه سـبحانه ولو نصرهم دائما، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لاعدائهم ابدا، لطفت نفوسـهم، وشمخت وارتفعت، فلوا بسط لهم النصـر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده الا السراء والضراء والشدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبر لامر عباده كما يليق بحكمته، انه بهم خبير بصير.

● انـه اذا امتحنهـم بالغلبة، والكسـرة، والهزيمـة، ذلـوا وانكسـروا، وخضعـوا، مـا استوجبوا منه العز والنصر، فان خلعة النصر انما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: (ولقد نصركم الله ببـدر وأنتم اذلة) «آل عمـران 123»، وقال: (ويوم حنـين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) «التوبة 25»، فهو سبحانه اذا اراد ان يعز عبده ويجبره وينصره، كسره اولا، ويكون جبره له، ونصره على مقدر ذله وانكساره.

● انه سـبحانه هيـأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها اعمالهم، ولم يكونوا بالغيها الا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الاسباب التي توصلهم اليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للاعمـال الصالحة التي هي من جملة اسباب وصولهم اليها.

العثور على أندر مخطوط قرآني كويتي

ذكر رئيس فريق الموروث الكويتي أنور الرفاعي أنه تم اكتشاف أندر مخطوط قرآني كويتي خط في الكويت سنة 1253 هجرية (1837م)، على يد ناسخه سليمان بن محمد الغانم في عهد أمير الكويت الحاكم الثالث الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح.

وقال الرفاعي: إن المخطوط القرآني بحالة ممتازة، وقد خط بطريقة جمالية تدل على دقة وتمكن ناسخه، كما تدل على ما شهدته تلك الفترة من ازدهار في مجال التعليم، موضحا أن النقوش والزخارف الإسلامية المرسومة في بداية ونهاية المخطوط تدل على جمال وروعة فنون الكتابة وازدهارها في تلك الفترة، مشيرا الى أنه سيتم عرض المخطوط القرآني «المصحف الشريف» في متحف بيت العثمان، حيث يقوم الفريق بتجهيزه لوضعه في ثلاثة متاحف للتعريف بماض عريق لإرث خلفه الآباء والأجداد.

يذكر أن فريق الموروث الكويتي هو أحد الفرق التطوعية التابعة لمركز العمل التطوعي في الكويت والذي أخذ على عاتقه الحفاظ على الموروث الكويتي إرث الآباء والأجداد، وذلك بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وباقي مؤسسات ووزارات الدولة.

لطائف لغوية في القرآن الكريم

المشرق والمغرب

المشرق والمغرب بين الجمع والتثنية والإفراد أسرار وإعجاز في سورة المعارج قال سبحانه: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) الآية 40.

وفـي سـورة الرحمن قال تعالـى: (رب المشـرقين ورب المغربين) الآية 17.

وفي سورة المزمل قوله تعالى: (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) الآية 9.

السـؤال: ما الحكمة والسر في تغاير واختلاف هذه الصيغ والمواضع إفرادا وتثنية وجمعا – للمشرق والمغرب؟

الجواب: هذه هي أدلة الإعجاز العلمي فـي القرآن الكريم التي أثبتها العلماء والباحثون على مر العصور سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

فلما جمعت المشارق والمغارب كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها أيام السنة.

ولما جـاءت مثناة كان المراد مشـرقي صعودها وهبوطها ومغربيها، وينشأ من ذلك فصلا الخريف والشتاء.

وحيث أفرد المشرق والمغرب كان المراد أفقي الشمس – المشرق والمغرب.

الصيحة

جاء في سـورة هود قوله تعالـى: (وأخذ الذيـن ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الآية 67.

وقوله تعالى أيضا: (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلمـوا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الآية 94.

السـؤال: لماذا جاءت صيغة الفعل مع الفاعل مذكرا في الآية الأولى، وبصيغة التأنيث في الآية الثانية «أخذ. أخذت»؟

الجواب: ان كلمة «الصيحة» فاعل مجـازي التأنيث وليس مؤنثا حقيقيا ولهذا يجوز معه تذكير الفعـل وتأنيثه. فنقول مثـلا: طلعت الشـمس وطلع الشمس. والصيحة هنا مصدر بمعنى الصياح.

أما في الآية الثانية فقد جاءت الصيحة مؤنثة مناسبة لسياق الآية الكريمة وما ذكر فيها انه سبحانه أنجى شعيبا والذين آمنوا معه بالرحمة وفي المقابل أخذت الذين ظلموا الصيحة. فكان ذلك من باب التناسب والتجانس في الآية الكريمة. فسبحان من هذا كلامه وإعجازه وبلاغته في محكم الآيات ومتشابهها. (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير). وتلك لطيفة من لطائف القرآن الكريم.

أقصى المدينة

قال تعالى في سورة القصص: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسـعى. قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين). وقال تعالى في سورة يس: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى. قال يا قوم اتبعوا المرسلين» الآية 20.

السؤال: ما سر تقديم «رجل» في القصص، «أقصى المدينة» في يس؟

الجـواب: انـه في سـورة القصـص قدم ذكـر «الرجل» للاهتمام بشأن الرجل القبطي الذي سمع من الاسرائيلي بخبر قتل موسى عليه السلام للرجل القبطي الأول. أما في سـورة يس فقد قدم «من أقصـى المدينة» على كلمة الرجل وذلك للاهتمام بما حدث في مدينة انطاكية والرجل هو حبيب النجار حيث أرسل سيدنا عيسى عليه السلام رجلين هما يحيى وبولس ثم ارسل بعدهما شمعون لملك القرية فكان ذلك من بلاغـة التقديم. فهذه بلاغة القرآن الكريم وفصاحته تتحقق بالتقديم مـرة وبالتأخير مرة أخرى ولا تتحقق بالتساوي أو التبادل في الأساليب فسبحان من هذا كلامه ونظمه وإعجازه.

أشحة

جاء فـي سـورة الأحزاب قوله تعالى: (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير) الآية 19.

السؤال هنا: لماذا جاءت كلمة «أشحة» منصوبة بعد كلمة حداد المجرورة قبلها؟

الجواب: ان كلمة «أشحة» حال منصوبة وقبلها «بألسنة حداد» في محل نصب على الحالية أيضا وذلك النصب على الذم وتلك من اللطائف اللغوية التي تميز بها القرآن الكريم الذي أعجز العرب بفصيح كلماته التي أخرسـت هؤلاء أصحاب اللغة.

من القصص النبوي

قصة الثلاثة العظماء الذين أخرجهم الجوع

روى الحديث الإمام الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسـناد صحيح عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخـرج فيها، ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبوبكر فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟». فقال: خرجت ألقى رسـول الله ﷺ وأنظر في وجهه والتسليم عليه. فلم يلبث أن جاء عمر رضي الله عنه، فقال: «ما جاء بك يا عمر؟» قال: الجوع يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا الى منزل أبي الهثيم بن التيهـان الأنصاري، وكان رجلا كثير النخيل والشاء، ولم يكن له خدم فلم يجده، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبوالهيثم بقربة فقال رسول الله ﷺ: «هذا والذي نفسـي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد» فانطلق أبوالهيثم ليصنع لهم طعامـا، فقال النبـي ﷺ: «لا تذبحـن ذات در» قـال: فذبح لهم عناقا او جديا فأتاهم بها فأكلوا، فقـال النبي ﷺ: «هل لك خادم؟» قال: لا. قال: «فإذا أتانا سبي فأتنا» فأُتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبوالهيثم، فقال له رسول الله ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفا» فانطلق أبوالهيثم الى امرأته، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت امرأته: ما أنت ببالـغ ما قال فيـه النبي ﷺ إلا أن تعتقـه، قال: فهو عتيق فقـال النبـي ﷺ: «إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عـن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي». قال أبوعيسى الترمذي ـ رحمه الله ـ هذا حديث حسن صحيح غريب.

مع الصحابة

سالم بن معقل
العبد الذي صار إماماً للمهاجرين

هو سالم بن معقل، كان عبدا رقيقا اسلم فرفع الاسلام قدره ومنزلته حتى تبناه واحد من اشراف قريش في الجاهلية والاسلام وهو ابوحذيفة بن عتبة، ولما ابطل الاسلام عادة التبني صار هذا الصحابي الجليل مولى واخا لمن تبناه في الجاهلية، وعرف فيما بعد: سالم مولى ابي حذيفة، وسابقته الى الاسلام واهتمامه بجانب العبادات والاخلاق والفضائل، كان ذا منزلة عالية بين المؤمنين واضحت اخوة الدين اقوى من اخوة النسب في كثير من الاحايين، لقد اذاب الاسلام ما بين المسلمين من فوارق تقوم على اساس الجنس او اللون او المفاخر التي لم تقسم على اساس الدين، وحديث القرآن والسنة عن الاخوة الاسلامية لايزال بين المتدينين والعقلاء الى يوم الدين، ورأينا كيف عامل الانصار اخوانهم المهاجرين، وكيف تعفف المهاجرون عما قدم اليهم في ساعة العسرة الا في اضيق الحدود.

لقد استعاض سالم ونظراؤه عن اجتثاث الاصل الاجتماعي بطاعته وتقواه، بل كان الشرف والحسب الحقيقي مبنيا على اساس التقوى لقول الحق (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم..) ولقول المصطفى ﷺ «ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى» و«ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى».

وبلغ من رفعة الاسلام له ان زوّجه ابو حذيفة من فاطمة بنت الوليد بن عتبة، الامر الذي كان يأنف منه الجاهليون بل يرفضونه قديما، وصار اماما للمهاجرين ـ من مكة الى المدينة ـ مدة صلاتهم في مسجد قباء، وكان حجة في كتاب الله حتى امر النبي ﷺ المؤمنين ان يتعلموا منه فقال «خذوا القرآن من اربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى ابي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»، بل اثنى عليه المصطفى ﷺ فقال «الحمد لله الذي جعل في امتي مثلك» واثنى عيه اخوانه المؤمنون فقالوا «سالم من الصالحين».

وكان رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يحسب لغير الله حسابا، فقد خرج ضمن سرية من السرايا وعلى رأسها خالد بن الوليد، وقد أوصاهم سيد القادة ﷺ بأنه قد ارسلهم دعاة هداة لا غزاة مقاتلين مغيرين، ولكنه قد حدث في السرية امور جديدة حملت خالدا رضي الله عنه على ان يريق بعض الدماء مما جعل النبي ﷺ يتوجه الى ربه معتذرا «اللهم اني اعتذر اليك مما صنع خالد»، وكان بسببها ان قال الفاروق رضي الله عنه فيه «ان في سيف خالد رهقا»، وما ان رأى سالم ما حدث حتى عدد عليه اخطاءه منكرا عليه ذلك، ولم ينظر الى ماضيهما الذي كان يعد خالدا من اشراف العرب وسالما من عبيدهم، فقد سوى بينهما الاسلام والسبق للمتقين، وكما قال الشاعر:

أبي الاسلام لا اب لي سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم

ولما بلغ الرسول ﷺ الخبر سأل قائلا «هل انكر عليه احد؟» وسر النبي ﷺ حينما أُخبر «نعم راجعه سالم وعارضه».

ان الرسول ﷺ غرس في قلوب اصحابه ان يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر وألا يخشوا احدا الا الله، وسار سالم على الدرب ـ بعد وفاة الرسول ﷺ ـ وما ان سمع بحرب المرتدين الا كان سالم وأبوحذيفة في طليعة المجاهدين الصابرين بل عاهد كل منهما اخاه على الشهادة في سبيل الله واندفعا نحو الموت غير مكترثين للاهوال، فكان ابوحذيفة ينادي «يأهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم» وكان سالم يصيح «بئس حامل القرآن انا لو هوجم المسلمون من قبلي»، وكان يغالب الاهوال والاخطار حتى بترت يمينه التي حمل بها راية المهاجرين بعد ان رزق الشهادة حاملها زيد بن الخطاب، ولم يسمح للراية بالهويّ بل التقطها بيسراه، وهو يردد قول الله تعالى (وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)، وأحاط به كثيرون من المرتدين حتى استراح بدنه على الارض، ولكن روحه لم تزل مرتبطة بالبدن الطاهر حتى قرت عينه بانتصار التوحيد وحماته وسقوط الشرك وحزبه واندكاك معالمه الى الابد.

ومن طريف ما نقل: ان المسلمين وهم يتفقدون شهداءهم وجدوا سالما في النزع الاخير فسألهم: «ما فعل ابوحذيفة؟»، قالوا: استشهد، قال: «فأضجعوني الى جواره» قالوا «انه الى جوارك يا سالم، لقد استشهد في نفس المكان» فسرت في وجهه ابتسامته العريضة لانه قد تحقق لهما ما كانا يرجوان، اما اللسان فقد امتنع عن الكلام مع رفاقه المؤمنين ـ في الدنيا ـ حتى يعود الحديث بينهم في جنات النعيم.

سلوكيات مفتقدة

الستر

قال رسول الله ﷺ «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة»، والحديث الشريف يشير الى ان ستر المسلم على أخيه المسلم له معان كلها خير، فالستر قد يكون للزلة، وقد اشترط العلماء لسترها أربعة شروط ان تكون حقا لله تعالى وان تكون قد مضت وان تكون من ذوي الهيئات الذين لا يعرف عنهم سوء وألا يكون المرء شاهدا أو مستشارا، وبغير هذه الشروط لا يحسن الستر فإن كانت الزلة من حقوق العباد فلابد من رد الحق لصاحبه، وقد يكون ستر المسلم مرادا به ستر العورة الحسية بالكساء فيقدم له ما يلبس ويحفظ له حياءه.. أو ستر العورة المعنوية بتيسير النكاح وتخفيف المهور، وربما المراد به ستر العورة المالية فيأتي الى الفقير والمسكين ويدفع اليه ما يحفظ ماء وجهه ويصون كرامته مصداقا لقوله تعالى: (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ـ البقرة: 273).